قوله تعالى إن الله اصطفى آدم ونوحا الآية قال ابن عباس قالت اليهود نحن من أبناء إبراهيم وإسحق
ويعقوب ونحن على دينهم فأنزل الله هذه الآية يعني أن الله اصطفى هؤلاء بالإسلام وأنتم على غير دين
الإسلام اصطفى اختار افتعل من الصفوة وهي الخالص من كل شيء آدم أبو البشر ونوحا وآل إبراهيم
وآل عمران قيل أراد بآل إبراهيم وآل عمران إبراهيم وعمران نفسهما كقوله تعالى وبقية مما ترك
آل موسى وآل هرون يعني موسى وهرون وقال الآخرون آل إبراهيم إسمعيل وإسحاق ويعقوب
والأسباط وكان محمد صلى الله عليه وسلم من آل إبراهيم وأما آل عمران فقال مقاتل هو عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب وآله موسى وهرون وقال الحسن ووهب هو عمران بن أشهم بن أمون من
ولد سليمان بن داود وآله مريم وعيسى وقيل عمران بن ماثان وإنما خص هؤلاء بالذكر لأن الأنبياء والرسل
كلهم من نسلهم على العالمين ذرية اشتقاقها من ذرأ بمعنى خلق وقيل من الذر لأنه استخرجهم من صلب آدم
كالذر ويسمى الأولاد والآباء ذرية فالأبناء ذرية لأنه ذرأهم والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم قال
الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أي آباءهم ذرية نصب على معنى واصطفى ذرية بعضها من بعض من ولد
بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر وقيل بعضها على دين بعض والله سميع عليم قوله تعالى إذ قالت
امرأة عمران وهي حنة بنت فاقوذا أم مريم وعمران هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى وبينهما ألف
وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن أشهم قوله تعالى
رب إني نذرت لك ما في بطني محررا أي جعلت الذي في بطني محررا نذرا مني لك والنذر ما يوجبه الإنسان على
نفسه محررا أي عتيقا خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا أشغله بشيء من الدنيا وكل ما أخلص
لله فهو محرر يقال حررت العبد إذا أعتقته وخلصته من الرق قال الكلبي ومحمد بن إسحق وغيرهما كان المحرر
إذا حرر جعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فإن أحب أقام فيه وإن
أحب ذهب حيث شاء وإن أراد أن يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك فلم يكن أحد من الأنبياء والعلماء إلا ومن نسله محرر لبيت
المقدس ولم يكن محررا إلا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والأذى فحررت أم مريم ما في بطنها وكانت القصة
في ذلك أن زكريا وعمران تزوجا أختين فكانت إيشاع بنت فاقوذا أم يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقوذا أم مريم
عند عمران وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر
يطعم فرخا فتحركت بذلك نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي إن رزقتني ولدا أن أتصدق
به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته فحملت بمريم فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها
ويحك ما صنعت أرأيت إن كان ما في بطنك أنثى لا يصلح لذلك فوقعا جميعا من ذلك في هم فهلك عمران وحنة حامل
بمريم فلما وضعتها أي ولدتها إذا هي جارية والهاء في قوله وضعتها راجعة إلى النذيرة لا إلى ما ولذلك أنث
فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما رب إني وضعتها أنثى اعتذارا إلى الله عز وجل والله أعلم بما وضعت
بجزم التاء جعلوها إخبارا عن الله تعالى وهي قراءة العامة وقرأ ابن عامر وأبو بكر ويعقوب برفع التاء جعلوها من كلام
أم مريم وليس الذكر كالأنثى في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس
وإني سميتها مريم وهي بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم أجمل النساء في وقتها وأفضلها وإني أعيذها أمنعها
وأجيرها بك وذريتها أولادها من الشيطان الرجيم فالشيطان الطريد اللعين والرجيم المرمي بالشهب

أخبرنا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسمعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب
عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب قال قال أبو هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم كل بني آدم يطعن الشيطان
في جنبيه بإصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن
أي تقبل الله مريم من حنة مكان المحرر تقبل بمعنى قبل ورضي والقبول مصدر قبل يقبل قبولا مثل الولوع والوزوع
ولم يأت غير هذه الثلاثة وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشأنها وأنبتها نباتا حسنا معناه وأنبتها
فنبتت نباتا حسنا وقيل هذا مصدر على غير الصدر وكذلك قوله فتقبلها ربها بقبول حسن أي سلك بها طريق السعداء
وأنبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في العام وكفلها
زكريا قال أهل الأخبار أخذت حنة مريم حين ولدتها فلفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد فوضعتها عند الأحبار
أبناء هرون وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها
الأحبار لأنها كانت بنت إمامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحقكم بها عندي خالتها فقالت له الأحبار
لا تفعل ذلك فإنها لو تركت لأحق الناس بها لتركت لأمها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه
فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا إلى نهر جار قال السدي هو نهر الأردن فألقوا أقلامهم في الماء
على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها وقيل كان على كل قلم اسم كل واحد منهم وقيل كانوا يكتبون
فألقوا أقلامهم التي كانت بأيديهم في الماء فارتز قلم زكريا فارتفع فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في
النهر قاله محمد بن إسحق وجماعة وقيل جرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء وجرت أقلامهم بجري الماء وقال
السدي وجماعة بل ثبت قلم زكريا وقام فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم في جرية الماء وذهب بها الماء فسهمهم
وقرعهم زكريا وكان رأس الأحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قرأ حمزة والكسائي وعاصم بتشديد
الفاء فيكون زكريا في محل النصب أي ضمنها الله زكريا وضمها إليه بالقرعة وقرأ الآخرون بالتخفيف فيكون
زكريا في محل الرفع أي ضمها زكريا إلى نفسه وقام بأمرها وهو زكريا بن آذن بن مسلم بن صدوق من أولاد سليمان
بن داود وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم زكريا بالقصر والآخرون بمده فلما ضم زكريا مريم إلى نفسه مقصورًا
بنى لها بيتا واسترضع لها وقال محمد بن إسحق ضمها إلى خالتها أم يحيى حتى إذا شبت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محرابا
في المسجد وجعل بابه في وسطها لا يرقى إليها إلا بالسلم مثل باب الكعبة ولا يصعد إليها غيره وكان يأتيها
بطعامها وشرابها ودهنها كل يوم كلما دخل عليها زكريا المحراب وأراد بالمحراب الغرفة والمحراب أشرف المجالس
ومقدمها وكذلك هو من المسجد ويقال للمسجد أيضا محراب قال المبرد لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرج
قال الربيع بن أنس كان زكريا إذا خرج يغلق عليها سبعة أبواب فإذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا
أي فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول يا مريم أنى لك هذا قال
أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأنكر بعضهم عليه وقال معناه من أي جهة لك هذا لأن أنى للسؤال
عن الجهة وأين للسؤال عن المكان قالت هو من عند الله أي من قطف الجنة قال الحسن حين ولدت مريم لم تلتقم
ثديا قط كان يأتيها رزقها من الجنة فيقول لها زكريا أنى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة إن الله
يرزق من يشاء بغير حساب قال محمد بن إسحق ثم أصابت بني إسرائيل أزمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف
زكريا عن حملها فخرج على بني إسرائيل فقال يا بني إسرائيل تعلمون والله لقد كبرت وضعفت عن حمل بنت عمران فأيكم يكفلها

قوله ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم أخرجه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم